

# الأسطول الفاطمي

## التواني بوبكر

تمتع البحر المتوسط منذ أقدم العصور الى الوقت الحاضر بموقع جغرافي فريد من نوعه ، جعله مطمع كل قوة تبغي لنفسها الازدهار والسلطان في هذا المجال البحري ، وعلى الرغم من هذا لم تستطع أية قوة أجنبية أن تنال الخلود الذي تمتع به العرب باستقرارهم على شواطئ هذا البحر .

فكم من حضارة قامت على جوانب هذا الحوض المائي الهام ، وازدهرت ، وبلغت ذروتها .. ثم أتى عليها الزمن ، فاندurst واندثرت ، وأصبحت أثراً بعد عين ! وكانت الحضارة العربية نعمة فريداً خالداً بين أترابها، وما زالت أقدام بني يعرب راسخة ممتدة الجذور الى يومنا هذا في رقعة شاسعة تضم شواطئ الشام ومصر وأفريقية ، بما يعادل نصف شواطئ المتوسط<sup>(١)</sup> . ويعزى سر هذا الخلود الى أن العرب اتخذوا أهبتهم لامتناء ثبح أمواجه وفق خطوات منظمة مدروسة بعيدة عن الارتجال والفوضى ، وذلك منذ أن لامست أقدامهم مياهه في القرن السابع الميلادي حاملين راية الاسلام<sup>(٢)</sup> .

وسرعان ما اشتد عود الأسطول العربي الفتى ، فهزم بحرية الروم ، وانتزع منها سيادة البحر المتوسط الذي زالت عنه صفة (بحر الروم) ، وغدا بحيرة عربية اسلامية بالنسبة لهذا البحر مثل سلطان الفاطميين في شمال افريقية ، ثم في مصر والشام فيما بعد ، قمة المجد العربي البحري ، حيث بدأ عصر سيادة الأساطيل العربية في المتوسط بلا منازع ، واستطاعت الدولة الفاطمية الناشئة أن تتبوأ تلك المنزلة السامية في تاريخ البحرية العربية

بسبب نشأتها وترعرعها في بيئة بحرية خالصة ، شاهدت منذ أقدم العصور أقوى الأساطيل وأشهر أمراء البحار الذين عرفهم التاريخ<sup>(٣)</sup> .

ومن المعلوم أن الفاطميين قضوا على الأغالبة، وورثوا ملكهم في (رقادة)<sup>(٤)</sup> وصراعهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط . كان هذا الصراع قد ازداد حدة وغنفاً بعد فتح المسلمين لصقلية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، فأُمسّت منذ ذلك الحين إحدى القواعد الهامة لانطلاق الجيوش الإسلامية<sup>(٥)</sup> . ولما جاء الفاطميون ضاغفوا من ذلك النشاط ، ولم يكتفوا بموقف الدفاع وصد الهجمات ، بل وقفوا موقف الهجوم ، وحاولوا كسب مراكز جديدة لأنهم كانوا يهدفون الى تكوين امبراطورية قوية ذات قواعد عسكرية برية وبحرية ، كي يتمكنوا من أخذ زمام المبادرة وحماية دولتهم من أي خطر مهما كان مصدره ، ومن الطبيعي أن تجعلهم هذه السياسة مهتمين بالأسطول البحري وانشاء الموانئ الهامة كالمهدية<sup>(٦)</sup> وغيرها ، واقامة دور صناعة السفن على اختلاف أحجامها ، والبحث عن المواد الأولية كالأخشاب . وبرزت عنايتهم بالجيش البحري من حيث التدريب والعدد والعدة ، وأغدقوا الأموال والهبات على رجاله، ومنحوهم الاقطاعات الواسعة بقصد تشجيعهم وبعث روح الحماسة في نفوسهم ، وبذلك يكونون طوع ارادة الخليفة ، ومتفانين في مهامهم العسكرية.

وفي الوقت نفسه اهتم عبدالله المهدي بجزيرة (صقلية) ، ودعم سلطانه فيها ، ورأى في الاحتفاظ بها سبيلاً لتحقيق أهدافه في انشاء امبراطورية عظيمة في المتوسط ، ففيها كنوز طبيعية مثل الذهب والفضة والنحاس والرصاص ، وهي منطقة زراعية خصبة معطاء، تنتج التفاح والبندق والجوز والقسطل . ويتصدر ذلك كله صلاحيتها قاعدة لأسطول كبير . وكل أولئك يدعو الى الاستقرار والاستفادة مما تتمتع به هذه الجزيرة حيث وجد الفاطميون في حيازتهم شمال افريقية وصقلية موارد ساعدتهم على بناء أسطول قوي يحقق لهم تنفيذ مشاريعهم البحرية<sup>(٧)</sup> .

واستهل الأسطول الفاطمي الوليد نشاطه المبكر في حوض البحر المتوسط الغربي بتدعيم ملك الفاطميين بشمال افريقية وبسط سيطرتهم على ما جاورهم من الجهات الساحلية التي دأب أهلها على الشغب والثورات . وقد واجه الأسطول الفاطمي أثناء تحقيق هذه المهمة أسطول الأندلس ومحاولاته المتكررة للاغارة على ممتلكات الفاطميين<sup>(٨)</sup> ، فامارة الأمويين بالأندلس أزعجها قيام سلطان الفاطميين على مقربة من ديارهم ، وارتابت من أهداف

الفاطميين التوسعية • وبلغت شدة خوف الأمويين مبلغاً جعلهم يتحالفون مع الروم والفرجة ضد الأسطول الفاطمي • فهناك من ذكر أن عبدالرحمن الناصر حسن علاقته مع صاحب بروفانس الذي كان حاقداً على الفاطميين بسبب غزوهم لموانيه كجنوة ، كما تحالف مع امبراطور يزنطة قسطنطين الثامن (٣٤٩-٤١٩ هـ / ٩٦١-١٠٢٨ م) الذي كان يأمل في استرجاع صقلية وغيرها من المراكز البحرية التي كانت في أيدي خصومه الفاطميين<sup>(٩)</sup> • وإمعاناً في محاربة الفاطميين عمل الناصر على تحسين علاقاته بالإخشيديين في مصر ، حتى أنه أرسل بعض مراكبه الى الاسكندرية بقصد محاربة أسطول الفاطميين • ولما أيقن الاخفاق في ذلك أمر بلعن الخليفة الفاطمي على منابر الأندلس ، وكتب بهذا الى جميع العمال بقصد الحط من قيمة الفاطميين<sup>(١٠)</sup> •

أما مع الروم فقد جرد الفاطميون حملاتهم العسكرية ضد أولئك الأعداء<sup>(١١)</sup> في كل فرصة سانحة طيلة عهدهم في المرحلة المغربية ، فهذاعبدالله المهدي يتابع هجماته عليهم سنين عديدة من المهديّة أو صقلية ، حيث توجهت حملة بحرية من الميناء الأول بقيادة صابر الفتى ، وذلك في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٩ م ، وعدتها أربعة وأربعون مركباً ، مخرت عباب اليم حتى وصلت صقلية<sup>(١٢)</sup> ، ومنها شنت غاراتها على سواحل الروم ومدنهم ، فقتلت الكثير ، وغنمت ، وعادت الى قواعدها سالمة<sup>(١٣)</sup> ، ثم أعاد صابر الكرة في السنة التالية من صقلية أيضاً ، فافتتح عدة مواطن رومية ، واستولى على ما فيها ، وأجبر أصقاعاً أخرى على مصالحته بأموال ودياج وثياب ، وعاد بجيشه الى صقلية مركز انطلاقه<sup>(١٤)</sup> ، ثم أعاد الكرة سنة ٣١٧ هـ / ٩٣١ م ، فالتقى في البحر بسبعة مراكب للروم ، وهو في أربعة ، فهزم خصومه ، وفتح وسبى سبياً كثيراً ، ورجع الى المهديّة<sup>(١٥)</sup> • وبذلك سن المهدي لمن جاء بعده سنة توجيه الحملات البحرية من المهديّة<sup>(١٦)</sup> وصقلية ضد الموانئ الرومية • وكان ولاية صقلية يساهمون مساهمة فعالة في هذا المجال نظراً لمركز ولايتهم الاستراتيجي وامكافات أسطولها البحري • وخير مثال على ذلك الحملة التي قادها يعقوب بن اسحق في آخر حياة عبدالله المهدي ، ففتحت جنوة وسردانية<sup>(١٧)</sup> • وقد قال آدم متر عن اتصال الأسطول الفاطمي بالحوض الغربي للبحر المتوسط منذ عهد عبدالله المهدي وسيطرته على مياهه ما نصه<sup>(١٨)</sup> : « ولم يكن لأوروبا سلطان على البحر الأبيض المتوسط خلال القرن العاشر الميلادي ، فقد كان بحراً عربياً • وكان لا بد لمن يريد أن يقضي لنفسه أمراً أن يخطب ودالعرب كما فعلت نابولي وغيتة وأمالقي » •

ويظهر أن الملاحة الأوربية نفسها كانت - في ذلك العصر - على حال يرثى لها من الضعف ، ففي سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م استطاعت مراكب عبدالله المهدي الفاطمي أن تغزو جنوب فرنسا ومدينة جنوة وأن تهبهما ، وأن تفعل مثل هذا بمدينة ييزا في عامي ٣٥١-٣٥٤ هـ فهذا النصر يبين لنا مدى ثقل وطأة الأسطول الفاطمي على أساطيل أوروبا وتحكمه في لجج البحر المتوسط ، وأن سلطة الفاطميين في المغرب تمثل قمة المجد البحري الاسلامي في البحر المتوسط وعصر سيادة الأساطيل الاسلامية لهذا البحر<sup>(١٩)</sup> .

وظل الاهتمام بالأسطول متواصلاً وكبيراً في عهد أبي القاسم محمد القائم ، بل بلغت قوته شأواً بعيداً ، وتقافم خطره على الأساطيل البيزنطية ، حيث ضاعف من غاراته عليها من موانئ المغرب وثغوره ، ومن صقلية أيضاً . ولعل قلة الثورات الداخلية في بداية عهده تركت له مجالاً للاهتمام بحرب الروم والعناية بالأسطول أكثر من أيّنه . ويقول ابن خلدون بهذا الصدد<sup>(٢٠)</sup> : « وكان أبو القاسم الشيعي وأبناءؤه يغزون بأساطيلهم من المهديّة جزيرة جنوة فتقلب بالظفر والغنيمة كما وقع في أيام بني الحسن ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيدين ، وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي ، وأساطيل المسلمين قد ضرت ضراء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الكثير من بسيط هذا البحر عدة وعدداً ، واختلفت في طرقه سلماً وحرباً ، فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح . حتى اذا أدرك الدولة العبيدية والأموية الفشل والوهن مد النصراري أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية وقريطش ومالطة ، فملكوها ، ثم ألحوا على سواحل الشام » . فهذا النص يبين لنا مدى الدور الخطير الذي شغله الفاطميون في الدفاع عن المغرب الاسلامي والمتمثل في رد غزوات الروم .

أما في عهد المعز لدين الله فقد كان للبحرية الفاطمية شأن يذكر في بلاد المغرب ومصر ، حيث اتخذ هذا الخليفة من المهديّة مرفأً رئيساً ومن سوسة وغيرها من الموانئ أماكن تأوي إليها سفنه، ولا نفلو اذا قلنا: ان المعز لدين الله، بفضل أسطوله القوي ، جعل غربي البحر المتوسط بحيرة فاطمية<sup>(٢١)</sup> ، وذلك نظراً لقلّة الاضطرابات الداخلية في عهده ، وبفعل سياسة اللين والتفتح التي اتبعتها - أحياناً - مع الثائرين . ولذا وجد المجال متسعاً للاهتمام بالأسطول حيث اتخذ من المراسي المختلفة مأوى لقطع هذا الأسطول . وعمل المعز جاهداً على تحصين موانئه ، حتى انه قال :<sup>(٢٢)</sup> « لئن امتد المقام هنا - أي في المنصورية - لنجربن

البحر بحول الله وقوته الينا في خليج حتى تكون مراكبنا تحط وتقلع بحضرتنا » • ولا شك أن هذا يدل على مدى عنايته أكثر من أسلافه بالجيش البحري حيث أراد أن يجعل من المنصورية ميناءً ثالثاً من حيث الأهمية بعد المهديّة وسوسة (٢٣) • وقد كثر في عهده المحارس والثغور مثل سبتة ومليلة ووهران وجزائر بني مرغنة وبجاية وجيجل وسكيكدة وبونة ومرسى الخزر وبنزرت وتونس وسوسة والمهديّة وصفاقس وقابس وطرابلس وبنغازي، حتى بلغ عددها على ما روي أكثر من عشرة آلاف حصن مبنية بالحجارة والكلس وأبواب الحديد (٢٤) •

ولا عجب أن وجدنا هذا الأسطول يمثل العامل الأكبر في انتصارات الفاطميين البحرية، ويعود إليه الفضل في تزويد جوهر بالامدادات أثناء فتحه مصر (٢٥) • ونلاحظ تقدماً ملموساً في قوة الأسطول الفاطمي في عهد المعز بما في ذلك القطع البحرية العاملة بالمغرب الأوسط (٢٦) • ويمكننا أن نوجز أهم العوامل التي ساعدت على نمو الأسطول وقوته فيما يلي :

١ - صلاحية الموقع الجغرافي لبلاد المغرب وكثرة موانيه ، ووجود أحواض لبناء السفن مثل المهديّة وسوسة وبونة (عنابة) ومرسى الخزر ، والقالة وبجاية وغيرها ، وتوفر المواد اللازمة لبناء السفن كالأخشاب التي تصنع منها ألواح السفن ، والحديد الذي يوجد في صقلية وبونة وبجاية والإربس • بالإضافة إلى القطن والجلال (٢٧) •

٢ - وراثة الفاطميين لأسطول قوي عن الأغالبة ، يعود تاريخ نشأته إلى عهد حسان بن النعمان (٧٥-٧٨ هـ / ٩٦٥-٩٦٨ م) ، حيث عملوا على تنميته وتطويره ، ولم يبدؤوا من الصفر في هذا المجال (٢٨) •

٣ - وجد الفاطميون بين أهل المغرب اطارات ذات كفاية عالية، عارفة بالملاحة والأمور البحرية ، ولها خبرة ودراية في هذا المجال منذ عهد الفينيقيين ، فكان هذا أحد العوامل في قوة بحريتهم ونجاحها (٢٩) •

٤ - يعتبر مركز صقلية البحري الهام من العوامل التي ساعدت على قوة الأسطول وتحكمه في مياه الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وقد أصبحت محطة بحرية هامة للمسلمين منذ أن فتحت سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م على يد أسد بن الفرات (٣٠) •

٥ - هذا ويمكن أن نعتبره تأصل فكرة الجهاد عند الفاطميين وتطلعهم إلى التوسع شرقاً وغرباً ، وخوفهم من الخطر الخارجي المتمثل في الروم بصفة خاصة من أهم الحوافز

التي جعلتهم يعنون أشد العناية بأمور الأسطول حتى تكون لهم قوة بحرية قادرة على تحقيق آمالهم في توسيع رقعة دولتهم ورد الخطر الخارجي المسيحي كما ذكرنا .

٦ - غني المعز بالأسطول أكثر من أسلافه لأنه كان يهدف الى تكوين قوة بحرية كبيرة يسيطر بها على حوضي البحر المتوسط الغربي والشرقي على السواء ، ويقارع بها كلاً من الأمويين والروم في الحوض الأول ، والعباسيين في الحوض الثاني . كما كان ينوي أن يتخذ من سواحل مصر والشام جسراً يعبر منه الى بغداد (٣١) .

٧ - ومما زاد من قوة الأسطول في عهد المعز وراثته لأسطول الإخشيديين . فبعد فتحه مصر وجد بين المصريين جنداً أكفاء في ميدان الملاحة النهرية والبحرية معاً . وبعد فتح مصر والشام حقق ما كان يطمح اليه في هذا المجال حيث امتد نفوذه البحري من سبته غرباً الى أنطاكية شرقاً ، بالإضافة الى الموانئ المظلة على المحيط الأطلسي . وبذلك بلغ الأسطول في عهده ذروة مجده (٣٢) .

والى هذا الأسطول الفاطمي يرجع فتح مصر في أسرع وقت ، فقد كان همزة الوصل بين جيوش جوهر الغازية وبين المعز في المغرب . وفي حراسة هذا الأسطول كانت الامدادات تصل الى جوهر في سهولة ويسر . وقد اتخذ المعز في بعض المدن المصرية دوراً لصناعة السفن ، فأنشأ في المقص دار صناعة ضخمة ، وصفها المسبحي المؤرخ المصري المتوفى سنة ٤٢٠ هـ بقوله (٣٣) : « انه لم يثرَ مثلها فيما تقدم كبراً ووثاقة وحسناً » . وقال ابن أبي طي (٣٤) : « لم يثرَ مثلها في البحر على ميناء » . ويظهر أن المعز لم يهمل دار صناعة القسطنطين التي كانت تسمى « دار صناعة مصر » ، كما غني باقامة دور صناعة السفن في مواني مصر الهامة كالاسكندرية ودمياط (٣٥) .

ولم يكن بناء السفن في مصر راجعاً الى خوف المعز من غارات الروم والقرامطة على مصر والشام فحسب ، بل كان ذلك راجعاً الى رغبته في بسط نفوذه على البلاد التي قد يتخذها الأعداء طريقاً يغيرون منه على مصر . بالإضافة الى ما كان يهدف اليه المعز لدين الله من اتخاذ مصر والشام قطرة يعبر منها الى بغداد حاضرة العباسيين في ذلك الحين (٣٦) . أضف الى ذلك أنه حرص على أن تكون لأسطوله السيادة والتفوق على سائر أساطيل البحر المتوسط . ولا غرو فقد دخلت في حوزة المعز لدين الله - بعد أن تم له فتح مصر والشام -

البلاد الواقعة على البحر المتوسط من أنطاكية الى سبته ، ووقعت في يده موانئ المغرب الأقصى المطلة على المحيط الأطلسي<sup>(٣٧)</sup> .

ومن ثم ملأ المعز كثيراً من موانئ الشام الهامة ، مثل صور وعكا وعسقلان ، بالسفن الكثيرة المختلفة الأنواع وأهمها الشلنديات<sup>(٣٨)</sup> والشواني<sup>(٣٩)</sup> الحربية والمسطحات<sup>(٤٠)</sup> والطرادات<sup>(٤١)</sup> والعشاريات<sup>(٤٢)</sup> والحراقات<sup>(٤٣)</sup> . وقد رأينا موقف أسطول المعز من صور وسواها في حروبه مع الروم ، كما رأينا كيف اتخذ جوهر من عكا وعسقلان مستودعات للامدادات التي كانت تتدفق على جيوش الفاطميين في بلاد الشام ، حتى ان قواد المعز اتخذوا منها أماكن يفرون إليها مع جندهم من وجه أعدائهم ، ولا سيما القرامطة<sup>(٤٤)</sup> .

ولأهمية السواحل الشامية في نظر المعز كان يعين عليها قواداً وولاءة ، ليكون الاتصال محكماً بين مصر وبلاد الشام ، وقد قدرت سفن الأسطول الفاطمي التي بنيت في دور الصناعة المصرية بأكثر من ستمائة قطعة مختلفة الأشكال والأحجام ، على حين بلغ عدد السفن في أواخر عهد الدولة الفاطمية مائة قطعة فقط<sup>(٤٥)</sup> .

وهكذا استغل المعز لدين الله موقع مصر والشام الاستراتيجي ، فكون أسطوله الشرقي الضخم ، ولو قدر له البقاء طويلاً لكان هذا الأسطول أكثر ضخامة وأبعد أثراً . وقد وصف المقرئ عناية المعز بالأسطول بهذه العبارة<sup>(٤٦)</sup> : « لما سار الروم الى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلاثمائة اشتد أمرهم بأخذهم البلاد ، وقويت العناية بالأسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله ، وأنشأ المراكب الحربية ، واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد ، واعتناء بالأسطول ، وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط ، من الشواني الحربية والشلنديات والمسطحات وتسييرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان ، وكانت في أيام المعز تزيد على ستمائة قطعة » .

وكان للأسطول أمير يدعى « قائد القواد » ، وقد سمي بذلك لأنه يرأس عشرة قواد ، كما كان يطلق عليه « أمير الجيش » و « المستوفي »<sup>(٤٧)</sup> . وقد بلغ من عناية المعز ومن جاء بعده من الخلفاء بالأسطول أن الخليفة كان ينفق عليه في غزواته بنفسه ، ويساعده وزيره أو يقوم مقامه . ولم يكن بحارة الأسطول في مرتبة واحدة ، فهناك جماعة كانت تتقاضى راتباً قدره ديناران ، وأخرى تتقاضى ثمانية ، وثالثة عشرة دنانير ، ورابعة خمسة عشر ديناراً ، وخامسة عشرين ديناراً ، وسادسة خمسة وعشرين ديناراً . أما أمير الأسطول أو

«مُقَدِّمُهُ» فكان من كبار الأمراء والأعيان، وهو أمر لا بد منه على حد قول المقرئزي ، ان يقوم على الأسطول كبير من الأعيان من أمراء الدولة وأقواهم<sup>(٤٨)</sup> . كما كان الخليفة يقطع رجال الأسطول اقطاعات عرفت باسم « أبواب الغزاة » . وكان قائد الأسطول يشرف عليه، ويتناوب القواد العشرة الاشراف العملي ، فيأتمر الجميع بأمر القائد الذي تؤول الرئاسة اليه<sup>(٤٩)</sup> .

ولكي يشجع الخليفة رجال الأسطول أو الغزاة - كما كانوا يسمونهم - كان يترك لهم من الغنائم المال والثياب والمتاع ، ولا يستبقي سوى الأسرى والسلاح . وكانت الفسطاط سن أهم مراكز الأسطول ، وكان الخليفة يشاهد بنفسه حفلة النفقة على الأسطول عند خروجه ، ويبارك رجاله ، ويدعو لهم بالتوفيق، كما كان يحضر حفلة استقباله عند عودته . وقد بلغ اهتمام الخلفاء الفاطميين بالأسطول أنهم اتخذوا لهم « منظر »<sup>(٥٠)</sup> بالمقصر ، يحتفلون فيها بتوديع الأسطول واستقباله ، ويتضح ذلك من هذا الوصف الشيق الذي أورده المقرئزي<sup>(٥١)</sup> : « ويتولى الخليفة بنفسه بحضور الوزير . فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة . . فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال ، وفيهم من كان يتعيش بمصر والقاهرة ، وفيهم من هو خارج عنهما ، فيجتمعون ، وكانت لهم المشاهدة والجرايات في مدة أيام سفرهم ، وهم معروفون عند عشرين عريقاً يقال لهم النقباء ، واحدهم نقيب » .

وكان رجال الأسطول يشغلون مكانة سامية بين موظفي ديوان الجيش ، ولا غرو ، فان صاحب ديوان الجيش ، وهو المستوفي ، كان أمير الأسطول . وبذلك وضع المعز لدين الله أساس نظام البحرية في مصر<sup>(٥٢)</sup> ، ونهج نهجه من جاء بعده من الخلفاء ، الا أنهم لم يصلوا بالجيش والأسطول الى ما وصل اليه المعز .

وليس أدل على اهتمام المعز بالأسطول من اعتماده على « ديوان الجهاد » أو « ديوان العمائر » كما كانوا يسمونه في تنظيم شؤون الأساطيل ، ووقف الأموال الضخمة للانفاق على الأسطول ورجاله . وكثيراً ما كان المعز يمد هذا الديوان بالعطايا والهبات من بيت المال .

وكذلك غني المعز بالأسطول التجاري لينقل السلع المصرية الى البلدان الأخرى ، ويعود محملاً بالسلع من هذه البلدان<sup>(٥٣)</sup> . وقد أصبح للفاطميين أسطولان تجاريان ، أحدهما في البحر المتوسط ، والآخر في البحر الأحمر ، فكانت الاسكندرية ودمياط في مصر ،



وعسقلان وعكا وصور وصيدا في الشام ، من أهم الموانئ الفاطمية<sup>(٥٤)</sup> في البحر المتوسط ، كما كانت عيذاب من أهم موانئ البحر الأحمر، وكانت مزودة بأسطول حربي يقوم على حماية الأسطول التجاري والقضاء على اللصوصية في هذا البحر<sup>(٥٥)</sup> .

وقد عني الخليفة المعز «بديوان الاقطاع» الذي كان تابعا «لديوان الجيش» ، وكان عمل صاحبه مقصوراً على النظر في الاقطاعات التي اقتطعها رجال الجيش وخاصة الممتلكات الكثيرة التي كانت تابعة للاخشيديين من قبل<sup>(٥٦)</sup> .

وصفوة القول : إن المعز لدين الله نهض بالجيش والبحرية نهضة مباركة مشهودة ، كان لها أثر بعيد المدى فيما قام به الفاطميون من فتوح وما نالوه من انتصار وظفر . وما كان هذا ليتم الا باستخدام المقاتلين الطرق العلمية في المجال البحري ، وبما تهيأ لهم من عدة وأسلحة ، في مقدمتها النفط الخاص باحراق مراكب العدو . كما استخدموا الكلاب الحديدية التي ترمى على سفن العدو بقصد اغراقها أو العبور اليها بواسطة الألواح الخشبية والسلالم ، كما استخدموا السيوف ومختلف الأسلحة الخفيفة<sup>(٥٧)</sup> ، وقد بلغت قطع الأسطول الفاطمي بالمغرب ما يزيد على ثلاثمائة ، كما بلغت في عهد المعز بمصر أكثر من ستمائة قطعة<sup>(٥٨)</sup> . لكن شأن الأسطول أخذ بالضعف والتدهور في آخر عهدهم حيث وصل الى مائة وعشرين سفينة فقط .

ومما تقدم يتجلى لنا أن الفاطميين عنوا عناية كبرى بالأسطول ورجاله في المغرب وبعد رحيلهم الى مصر ، واحتل رجاله مكانة بارزة في ديوان الجيش وبذلك سطر الفاطميون صفحة زاهية مشرقة في التاريخ العربي ، وبنوا لنا مجداً تليداً انبعث منه عقب البطولة وأريج الجهاد .

★ ★ ★

□ هوامش :

- ١ - ماجد عبد المنعم : الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي ص ٢ Atlas geologique d'Algerie, P. 35 .
- ٢ - البكري : المغرب ص ٣٧ حسن حسني عبد الوهاب . بساط العقيق ص ٤٩ .
- ٣ - ماجد عبد المنعم : ص ٢ - ٣ Gautier : le passé de l'Afrique, p. 52 .
- ٤ - القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ص ٢٢٢ ، ٢٣١ . ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٤٠ - ٤٧ . المقرئ : اتعاظ ص ٨٦ - ٨٨ .
- ٥ - الادريسي : المكتبة العربية الصقلية ص ٢٨ - ٣١ . ابن الاثير : ج ٧ ص ٥ - ٧ . موريينو : المسلمون في صقلية ص ١١ - ١٢ . Gorges M. : l'Architecture musulmane, p. 324 .

- ٦ - أحمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ص ٧٢ - ٧٣ .
- ٧ - البكري : المغرب ص ٢٩ الحميري المطار ص ١٧٢ . ياقوت الحموي : المعجم ج ٥ ص ٢٣ .  
Encyclopédie de l'Islam, p. 329.
- ٨ - حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ١٧٨ .
- ٩ - أرشبالد لويس : القوي البحرية في البحر المتوسط ص ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ .
- ١٠ - ابن حوقل : صورة الأرض ص ١١٧ وما بعدها . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠ .
- ١١ - ميخائيل أماري : المكتبة العربية الصقلية ص ٦١ . Histoire de l'Afrique du nord, p. 412 .
- ١٢ - ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٩٢ . Grand l'Arousse, p. 512 .
- ١٣ - نفسه ج ١ ص ١٩٢ . Le passe de l'Afrique du nord, p. 427 .
- ١٤ - نفسه ج ١ ص ١٩٤ .
- ١٥ - ياقوت الحموي معجم ج ٣ ص ٢٠٩ . حسن إبراهيم حسن : عبدالله المهدي ص ٢٠٢ .
- ١٦ - آدم متز : العضارة الاسلامية ج ٢ ص ٤٢٦ أرشبالد لويس المرجع نفسه ص ٢٣٥ .
- ١٧ - صابر محمد دياب : سياسة الدول الاسلامية في حوض المتوسط ص ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ .
- ١٨ - نفسه .
- ١٩ - المقدمة ص ١٥٠ - ١٥٢ .
- ٢٠ - ابن خلدون : المقدمة ص ١٥٠ - ١٥١ . Golvin : Le Magreb centrale à l'époque, p. 249 .
- ٢١ - مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ص ٧٧ .
- ٢٢ - النعمان : المجالس ص ٥٩٢ . العبادي : ص ٧٢٠ . l'Architecture musulmane, p. 412 .
- ٢٣ - حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص ١٨٥ . Histoire de l'Afrique, p. 329 .
- ٢٤ - البكري : المغرب ص ٣٧ - ٥٥ - ٦٤ - ٦٥ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥ . حسن حسني عبدالوهاب : بساط العقيق ص ٥٢ .
- ٢٥ - حسن إبراهيم حسن وآخر ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- ٢٦ - البحرية الجزائرية : نشر المكتبة الوطنية الجزائرية ص ٢٧ .
- ٢٧ - مختار العبادي وآخر : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ص ٧١ - ٧٢ الى ٧٦ .  
Le passe de l'Afrique du nord, p. 412.
- ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٠٢ . حسن حسني عبدالوهاب : بساط العقيق ص ٤٩ - ٥٠ .
- عبدالله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ١٢٦ - ١٢٧ .
- ٢٨ - العبادي : البحور الاسلامية ص ٧٧ - ٧٨ .
- ٢٩ - ابن الأثير الكامل ج ٦ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ . المالكي : رياض النفوس .
- ٣٠ - مختار العبادي : البحرية الاسلامية ص ٦٨ - ٧٠ . Grand L'arousse, p. 521 .
- ٣١ - ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٨٠ . عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٦١٤ - ٦١٥ .
- أرشبالد لويس : ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .
- سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٢١ .
- محمد صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية ص ١١٧ .

- ٣٢- ابن الأثير الكامل ج ٧ : ٣١ • ابن حماد : تاريخ بني عبيد ص ٤٠ ، البداية والنهاية ج ١ ص ٢٦٦ • حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ٨٣ - ٨٤ • صابر دياب ص ١٠٢ •
- ٣٣- حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ٨٣ - ٨٤ • صابر دياب : النظم الاسلامية ص ٥٢١ •
- ٣٤- المقرئزي : خطط ج ٢ ص ١٩٥ •
- ٣٥- ابن كثير ج ١ ص ٢٦٦ • المقرئزي خطط ج ١ ص ٣٢٩-٣٣٠ •
- ٣٦- الطبري ج ٦ ص ٢٥٧ • النعمان : افتتاح الدعوة ص ٢٢ - ٥٤ • ابن الأثير : الكمال ج ٧ ص ١٤٧ - ١٦١ • ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٧١ - ١٨١ • Encyclopédie de l'Islam, pp. 13-19 •
- ٣٧- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه ص ٧٦ - ٧٧ •
- ٣٨- مفردها شلندي ، من المراكب المسطحة ، وتخضع بحمل العتاد والرجال • مختار العبادي وآخر : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ص ٣٥ - ٣٦ • ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٢٢٢ • إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص ١٨٦ •
- ٣٩- مفردها شونه • وهي سفن كبيرة بها أبراج كبيرة ، تشبه البوارج العربية في يومنا هذا ، وبها آلات الهجوم والدفاع • ماجد المرجع نفسه • مختار العبادي وآخر المرجع نفسه ص ١٣٦ • محمد صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية ص ١٠٧ Dozy T.I. 717 •
- ٤٠- نوع من السفن •
- ٤١- واحدھا طراد : وهي من السفن الصغيرة القوية السريعة ، تعمل الواحدة منها نحو مئة فارس • العبادي وآخر ص ١٣٥ • حسن إبراهيم حسن وآخر المرجع نفسه ص ١٨٦ •
- ٤٢- من القوارب النهرية التي استخدمها الفاطميون في غزواتهم البحرية واحدھا عشري •
- ٤٣- تلي الشواني في الضخامة ، وتعمل المنجنيقات وغيرها من معدات الهجوم • مختار العبادي : المرجع نفسه ص ١٣٤ • حسن إبراهيم حسن وآخر المرجع نفسه ص ١٨٧ • محمد صابر دياب : نفسه ص ١٠٨ - ١٠٩ •
- ٤٤- المقرئزي : خطط ج ١ ص ١٩٣ • سهيل زكار : القرامطة ص ٣٩٣ وما بعدها •
- ٤٥- خطط المقرئزي ج ٢ ص ٩١٣ • حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص ١٨٦ - ١٨٧ •
- ٤٦- خطط ج ٢ ، ص ١٩٣ •
- ٤٧- المقرئزي خطط ج ٢ ص ١٩٣ •
- ٤٨- نفسه •
- ٤٩- نفسه •
- ٥٠- حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ١٨٨ • ماجد : الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ص ٧٩ •
- ٥١- حسن : نظم الفاطميين ص ٢٧١ •
- ٥٢- خطط ج ٢ ص ١٩٣ •
- ٥٣- تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٨٤ • رايح بونار : المغرب العربي ص ١٨٧ •
- ٥٤- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه ص ١٤١ • ماجد المرجع نفسه ج ١ ص ٢٢٧ •
- ٥٥- صابر محمد دياب : سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط ص ١٠٧ - ١٠٨ •
- ٥٦- انظر م - ١ - م مقال الأخشيد ص ٥١٢ Gobrin : Le Magreb, p. 570 •
- Gautier. Le passé, p. 412. Dozy supplement aux dictionnaires Arabes, p. 67, leir l'espague, p. 332
- ٥٧- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه ص ١٤١ • ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٢٢٧ •
- ٥٨- المقرئزي : خطط ج ٢ ص ١٩٣ • حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ٨٦ - ٨٧ •

## □ تثبيت المصادر والمراجع :

- ١ - آدم متمر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ( جزآن ) ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، طبع لجنة التأليف والترجمة ط ٣ القاهرة ١٣٧٧ هـ .
- ٢ - الإدريسي : الشريف الإدريسي المتوفى ( ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م ) وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية تصحيح ، هنري بريس ، الجزائر ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .
- ٣ - ارشبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( ٥٠٠ - ١١٠٠ م ) ترجمة أحمد عيسى ، نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٤ - ابن الأثير : أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ( ت ٦٣٠ هـ ) .
- ٥ - الكامل في التاريخ ( ٨ أجزاء ) نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م / .
- ٦ - ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النصيبي ( ت ٣٩٧ هـ ) كتاب صورة الأرض ، بيروت مكتبة الحياة .
- ٧ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ( ت ٨٠٨ هـ ) المقدمة والكتاب ، نشر دار الكتب اللبناني - بيروت ١٩٦٧ م .
- ٨ - ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين بن محمد بن أبي بكر ( ٦٨١ هـ / ١١٨١ م وفيات الأعيان ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، دار الثقافة - بيروت .
- ٩ - ابن سعد : عريب بن سعد القرطبي المتوفى سنة ٢٨٠ - صلة التاريخ الطبري القاهرة ، دار الاستقامة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م / .
- ١٠ - ابن سعد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى المتوفى ( ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ) كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ط ١ ، نشر المكتب التجاري المغرب في حلي المغرب ( جزآن ) تحقيق شوقي ضيف ( ط ٢ ، نشر دار المعارف ط ٢ القاهرة ١٩٦٤ .
- ١١ - أبو الفداء : العافظ بن كثير ( ت ٧٧٤ هـ ) .
- ١٢ - البكري : أبو عبدالله بن العزيز بن محمد مصعب العافظ ( ت ٤٨٧ هـ ) المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، تحقيق دوسلان - بغداد نشر مكتبة المثنى - جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبس الرحمن العجي - بيروت - طبعة سنة ١٣٨ هـ / ١٩٦٨ م / .
- ١٣ - بونار : رايح : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٦٨ م .
- ١٤ - ثابت بن سنان وابن العديم : تاريخ أخبار القرامطة وترجمة الحسن الأعصم ، تحقيق سهيل زكار - دار الأمانة ، بيروت سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م / .
- ١٥ - الجوزدي : أبو علي منصور العزيمي « أواخر القرن ٤٨٥ هـ » سيرة الأستاذ جودر تحقيق محمد كامل حسن ، ومحمد عبد الهادي شعيرة ، طبعة الاعتماد ، مصر ١٩٤٥ م .
- ١٦ - جولييان : شارل أندريه : تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب محمد مزالي ، البشير بو سلامة طبع السداد ١٩٦٩ م .
- ١٧ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ط ٢ مكتبة تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ( ٣ أجزاء ) ط ٦ مكتبة ، النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٢ م . عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ( بالاشتراك مع الدكتور طه أحمد شرف ) مكتبة النهضة القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .
- ١٨ - حسن علي إبراهيم : تاريخ جوهر الصقلي ، قائد المعز لدين الله الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ، القاهرة عام ١٩٦٣ م .

- ١٩- الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الروي البغدادي المتوفي ( ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ) معجم البلدان ( ٥ أجزاء ) بيروت ١٩٥٥ م .
- ٢٠- الديباغ : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري ( ت ؟ ) كتاب معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ( ٤ أجزاء ) المطبعة العربية بتونس ١٣٢١ .
- ٢١- دياب : صابر محمد : سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط في أوائل القرن الثاني الهجري ، حتى نهاية العصر الفاطمي ، نشر عالم الكتب ط ١ القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٢٢- سرور : محمد جمال الدين : سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٢٣- سالم : السيد عبد العزيز : المغرب الكبير ( العصر الاسلامي ) طبع الدار القومية القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢٤- ماجد : عبد المنعم : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى - القاهرة ، نشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣ م .
- ٢٥- ماجد : عبد المنعم : علي البنا : الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى - القاهرة ط ٢ - دار الفكر عام ١٩٦٧ م .

★ ★ ★

Dozy, R.

- 1 — Supplement aux dictionnaires Arabes Paris 1967.
- 2 — Gaulhier E. F.  
Le passé de l'Afrique du nord petite Bibliothèque, Paris 1952.
- 3 — Golvin L.  
Le Maghreb central à l'époque des Zirides Mitiers graphiques, Paris 1957.
- 4 — Julien ch. André  
Histoire de l'Afrique du nord. payot, Paris 1931.
- 5 — Marcais Gorges  
L'architecture Musulmane d'occident : Tunis - Algerie Maroc Espagne et sicile, Paris 1954.
- 6 — Provençal levi.  
L'Espagne musulmane aux X<sup>ème</sup> sicile institution et vie social larousse, Paris 1932.
- 7 — Atlas géologique de l'algerie Redigé Par Stephon - Gazelle Adolph jourdon  
imprimeur librairie Educateur Alger 1911.
- 8 — Grand larousse Paris 1960 - 1961 - 1962 - 1963.
- 9 — Encyclopédie de l'Islam, Paris 1913 - 1934 - 1954.